حقيقة الشك
عند الإمام الغزالي

إعداد الدكتور
حماد بن زكي الحماد
الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية
بجامعة حائل ، المملكة العربية السعودية

حقيقة الشك عند الإمام الغزالي

حماد بن زكي الحماد
الأستاذ المساعد بقسم الثقافة الإسلامية بجامعة حائل
البريد الالكتروني: hmzasa2017@gmail.com

الملخص :

موضوع البحث: "حقيقة الشك عند الغزالي" ، يهدف البحث إلى دراسة ما حصل للغزالي من مرحلة شك فيها، ودون تجربته، مع دراسة آراء الباحثين حول حقيقة ما جرى له، وبيان وجه الصواب منها، والمآخذ عليها إن وجدت.

أهم النتائج: أن الغزالي كان من أبرز العلماء الذين عنوا بمسائل نظرية المعرفة، خاصة مسألة إمكان المعرفة من عدمها، وكان مولعًا بالعلم والاستزادة من المعارف بشكل عام، وقد دفعه حبه للعلم وتعطشه للمعرفة أن يبني معارفه على اليقين، وأن يتجنب مسالك الوهم والأضاليل، فخاض تجربة غريبة في البحث عن الحقيقة، وقع فيها في شك اختلف فيه الباحثون، والتحقيق أن الإمام الغزالي لم يكن يتبنى الشك الهدمي بإطلاق، كما أنه لم يكن يتبنى الشك المنهجي الاحترازي بإطلاق، وإنما سلك مسلك الشك المنهجي ابتداء ولم تكن له غاية بعده، ولكنه بالغ وغلا في ذلك حتى وقع في الشك العدمي وصار على مذهب السفسطة ، ثم رجع عن ذلك بتوفيق من الله، وقد عبر عن رجوعه بمصطلح صوفي مجمل يحتمل عدة معان، أقربها أنه أراد الإلهام الصادق، ولكنه أعرض عن ذكر الطريقة الأقوى التي يقطع بها النزاع وهي أن المبادئ الأولية لا تقبل الاستدلال من حيث الأصل، لأنها يقينية بذاتها، ولا يمكن تصور نقيضها بحال من الأحوال.

الكلمات المفتاحية: الشك، الغزالي ، نظرية المعرفة ، الشك المنهجي ، الشك العدمي.

The truth of doubt when Imam Al-Ghazali

Hammad bin Zaki Al-Hammad

Assistant Professor, Department of Islamic Culture, University of Hail

Email: hmzasa2017@gmail.com

Abstract :

Research topic: "The reality of doubt in Al-Ghazali".

The most important results: Al-Ghazali was one of the most prominent scholars who dealt with issues of the theory of knowledge, especially the question of the possibility of knowledge or not, and he was fond of science and increasing knowledge in general. A strange experience in the search for the truth, in which he fell into a doubt in which the researchers differed, and the investigation was that Imam Al-Ghazali did not adopt the destructive doubt at all, nor was he He adopts the precautionary methodological doubt in general, but he took the path of methodological doubt from the beginning and had no end after it, but he went to extremes and extremes in that until he fell into nihilistic doubt and became on the doctrine of sophistry, then he returned from that with the grace of God, and he expressed his return in a general mystical term that bears several Maan, the closest of them is that he wanted true inspiration, but he refrained from mentioning the strongest way in which he cut off the conflict, which is that the primary principles do not accept inference in

terms of origin, because they are certain in themselves, and their opposite cannot be imagined under any circumstances.

Keywords: skepticism, Al-Ghazali, epistemology, methodological skepticism, nihilistic skepticism.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أوضح الحجج لعباده، ويسر لهم سبل اليقين، وأتم لهم الدين، والصلاة والسلام على إمام الإنبياء وسيد المتقين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن مسألة الوصول إلى الحقيقة، وبناء المعيار على اليقين، لمن أبرز المسائل المعرفية التي كثر فيها الإشكال، واحتد معها النزاع، وهي من كبرى المسائل التي تناولتها كتب الفلسفة القديمة والحديثة، وكتب علم الكلام والمنطق، وهي من أهم أركان نظرية المعرفة التي تعتبر جوهر الفلسفة الحديثة ولبابها.

وكل مذهب من المذاهب الفلسفية يرتكز على أصول معرفية يبني عليها أفكاره، وعلى ضوئها يسير، وبناء عليها يرجح ويختار وينقد غيره من المذاهب.

ولكن البحث في مسألة نظرية المعرفة ومصادرها وإمكانها ليس من مبتكرات الفلسفة الغربية، وليس مما اختص به علماء الغرب، وجادت به قرائحهم، فإن البحث فيها كان حاضرًا بقوة عند علماء الإسلام، في كتب العقائد، والفرق، وعلم الكلام، والرد على المخالفين في أصول الدين، وإن سميت كثيرًا من مسائل نظرية المعرفة بغير أسمائها التي اصطلح عليها في كتب الفلسفة الغربية.

ويعتبر الإمام أبو حامد الغزالي من أبرز أئمة المسلمين الذين بحثوا هذه المسائل المعرفية المشكلة، فهو من العلماء المتفننين الذين لهم مشاركة وإضافة في سائر العلوم الشرعية، وقد عني بالكتابة في الفقه وأصوله، والعقائد وعلم الكلام، والفرق والمذاهب، والفلسفة والمنطق، والأخلاق

والتصوف، كما عني بوجه خاص بالرد على الفلاسفة والباطنية، فقد أفرد لكل طائفة منهما كتابًا خاصًا في الرد والحجاج.

وقد مر الغزالي بتجربة غريبة، حكاها بنفسه، وصنف فيها كتابًا مستقلًا، هو كتابه "المنقذ من الضلال"، حكى فيه تجربة شك عرضت له، ومرحلة اضطراب وقع فيها، وقد اهتم العلماء والباحثون من بعده بهذه المرحلة، وعنوا بهذه التجربة، وتناولوها بالتعليق والنقد، وقد تباينت آراؤهم فيها، واختلفوا في بحث عللها وأسبابها، ونقدها وتقويمها، على ما سيأتي شرحه وبيانه.

كل هذا الخلاف والتباين، وكتب الغزالي حاضرة، وكلامه واضح قريب، فأردت المشاركة في بحث هذه المرحلة التي مر بها الغزالي، جاعلًا من أكبر أهدافي فهم حقيقة ما عرض له من خلال جمع كلامه وتأمل دلالات ألفاظه والبحث في علله وأسبابه، ثم النظر بعد ذلك في كلام العلماء والباحثين الذين تناولوا هذه المرحلة بالتعليق، وتحليل مواقفهم وبيان ما أصابوا فيه وجه الحقيقة وما حادوا فيه عن الصواب، ونقد ذلك بعلم وعدل إن شاء الله.

وقد اقتضى بناء هذا البحث أن يكون مشتملًا على تمهيد، ومبحثين، على النحو الآتي:

- تمهيد: حقيقة الشك وأنواعه.
- المبحث الأول: الشك عند الغزالي، وفيه ثلاثة مطالب:
- المطلب الأول: دوافع الشك عند الغزالي.
- المطلب الثاني: حقيقة الشك عند الغزالي.
- المطلب الثالث: آراء العلماء والباحثين في شك الغزالي.
- المبحث الثاني: تقييم الشك عند الغزالي، وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: المحاسن في تجربة الغزالي.
- المطلب الثاني: الزلل في تجربة الغزالي.

- **مشكلة البحث:**

يحاول هذا البحث الإجابة عن هذه المحاور:

- ما حقيقة التجربة التي مر بها الغزالي؟
- كيف فهم العلماء والباحثون هذه التجربة؟
- ما الموقف النقدي المعتدل من هذه التجربة؟

- **أهمية الموضوع:**

١- تعلقه بمسألة من أهم المسائل المشكلة وهي إمكانية المعرفة.
٢- أثر الغزالي الكبير وتأثيره في شتى الجوانب المعرفية.
٣- كثرة الخلاف حول حقيقة ما جرى للغزالي.
٤- التباين في الموقف من تجربة الغزالي نقدًا وثناءً.

- **أهداف البحث:**

١- شرح ما حصل للغزالي من خلال جمع كل نصوصه.
٢- رفع الالتباس الحاصل حول ما مر به.
٣- نقد هذه التجربة وبيان ما لها وما عليها.

- **منهج البحث:**

يقوم البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي، وذلك بجمع كلام الغزالي ثم شرحه وتحليله ونقده.

- **إجراءات البحث:**

- جمع المادة العلمية من كلام الغزالي وكلام من تناول تجربته من العلماء والباحثين.

- عزو ما يرد من الآيات والأحاديث إلى مصادرها وفق المنهج العلمي.
- عزو الأقوال إلى قائليها.
- ذكر فهرس لمصادر البحث وللمباحث الرئيسة بشكل مجمل.

- **تمهيد:**

- **الشك وأنواعه:**

ظهرت نزعة الشك في إمكان المعرفة والوصول إلى الحقيقة في القرن الخامس قبل الميلاد، على يد "السوفسطائين"، وهذه النزعة الهدمية قوضت أصول الحقيقة، ونازعت في إمكان المعارف، وجعلت الحقائق ذاتية نسبية، وليست حقيقية موضوعية، فكل شيء هو حق بالنسبة للذات المدركة له لا بالنسبة لما هو عليه في حقيقته الموضوعية، وبناء على هذا فإن تفكير الإنسان في الوصول إلى الحقيقة عبث لا طائل منه ولا جدوى.

والمحور الذي تدور عليه فلسفة السوفسطائين هو أن "الإنسان مقياس كل شيء"(١)، وعلى هذا فالحقائق متعددة بتعدد الناس الذين يؤمنون بها، وليس لها ثبات أو جوهر حقيقي يمكن إثباته في نفس الأمر، ولا يمكن لأحد أن يصل إليها أو يكتشفها فهي شيء لا وجود له إلا في الوهم ولا حقيقة له إلا في الخيال!

وبهذه الشكوك التي ثار بها السوفسطائيون ونشروها في الناس من طريق الخطابة والبلاغة ظهرت موجة الشك وكادت أن تقضي على يقين الناس ومدى ثقتهم بإدراكهم للحقائق.

---

(١) انظر: قصة الفلسفة اليونيانية، لزكي نجيب محمود، ص٩٦، و: تاريخ الفلسفة، لبرتراند رسل، ١٣٠/١، والسفسطة هي الحكمة المموهة، والسوفطائين هم قوم ينتحلون هذا المذهب، فإن سوفا تعني بلغة اليونان العلم، واسطا اسم للغلط، فسوفسطا علم الغلط، انظر: المعجم الفلسفي، لجميل صليبا، ٦٥٨/١، و:شرح الجرجاني على المواقف، ص٤٣.

والشك في نظرية المعرفة يراد به:(التوقف عن إصدار حكم ما استنادًا إلى أن كل قضية تقبل السلب والإيجاب بقوة متعادلة، وأن أدوات المعرفة من عقل أو حواس أو غير ذلك لا تكفل اليقين)(١).

والاتجاه الشكي بأنواعه يبحث في باب إمكان المعرفة من نظرية المعرفة، ومسألة إمكان المعرفة من المسائل المشهورة، التي اختلفت فيها المدارس الفلسفية على اتجاهين كبيرين، هما(٢):

١- الاتجاه اليقيني الاعتقادي:

وهو الاتجاه الذي يعتقد بإمكان المعرفة، ويقر بالقدرة على الوصول إلى اليقين، لأن الحقائق عنده لها وجود موضوعي ثابت، والناس يتفاوتون في مدى وصولهم إليه ويختلفون في تحقيقهم لإدراكه، وهذا الاتجاه هو الغالب على سائر الفلسفات والمدارس الفكرية سواء في الغرب أو الشرق، وإن اختلفوا بعد ذلك في طرق تحصيل المعرفة، وحدودها وضوابطها.

٢- الاتجاه الشكي:

وهو الاتجاه الذي ينكر إمكان المعرفة، ويشكك في القدرة على الوصول إليها، وقد قسموا بنوع كبير من التجوز هذا الاتجاه إلى نوعين:

---

(١) أسس الفلسفة، توفيق الطويل، ص٣٠٥، وانظر: المدخل إلى الفلسفة، لأزفلد كولبه، ص٢٧٥-٢٧٧.

(٢) انظر: مدخل إلى نظرية المعرفة، لأحمد الكرساوي، ص٣٣-٣٥، و: المدخل إلى الفلسفة، لأزفلد كولبه، ص٢٧٣-٢٨٣، و: أسس الفلسفة، لتوفيق الطويل، ص٣٠٥-٣٢٨، و: مبادئ الفلسفة، لرابوبرت، ص١٣٨-١٣٩.

أ- الشك الهدمي المطلق:

وهو شك ينطوي على اعتقاد استحالة الوصول إلى المعرفة، ويدعو إلى نسف الثقة بالأدوات الموصلة إليها، وتقويض الأمل في بناء معرفة يقينية تستند إلى البرهان، وهو اتجاه يعتبر مبادئه غاية بذاتها يدعو إليها، وليست مجرد وسيلة لها ما بعدها، وصاحب الشك الهدمي يبدأ شاكًا وينتهي شاكًا، ويرى أصحابه أن أي محاولة في الوصول إلى اليقين محكوم عليها بالفشل مسبقًا، لأنها عبث لا طائل منه ولا جدوى، وقد انقسم أصحاب هذا الاتجاه إلى ثلاثة فرق، هي(١):

١- العندية:

وهو القائلون بنسبية الحقيقة، وأن حقائق الأشياء تابعة لاعتقادات أصحابها، وأن كل إنسان يعتقد الأشياء وفق ما يتراءى له، وليس للحقائق وجود ثابت أو ماهية محددة في نفس الأمر.

٢- العنادية:

وهم الذين يعاندون في الحقائق، ويزعمون أنه لا يوجد موجود أصلًا!

٣- اللا أدرية:

وهم القائلون بالتوقف التام، وعدم القدرة على إصدار الأحكام، ويدعون إلى ذلك بشكل مطلق وصورة غائية، بسبب تكافؤ الحجج عندهم وانعدام الطرق الموصلة إلى اليقين والجزم.

(١) انظر: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، لراجح الكردي، ١/ ٨٤-٨٥، و: مدخل إلى نظرية المعرفة، لأحمد الكرساوي، ص٧٨.

ب–الشك المنهجي "الاحترازي"(١):

وهذا الشك يفرضه صاحبه بإرادته، ويقصده بوعيه، بهدف امتحان معارفه السابقة، واختبار معلوماته، وتطهير عقله من كل ما فيه من مغالطات وأضاليل، وهو وسيلة للوصول إلى غاية معينة، وليس غاية بذاته، وغايته هي الحقيقة واليقين، ولكن من طريق فيها حزم وامتحان، وتجرد وتدقيق، بهدف طرح المعارف المغلوطة والحجج المضللة، والإبقاء على المعارف اليقينية والحجج المستقيمة.

فهو إذن منهج يؤمن بوجود الحقائق ويدعو إلى الوصول إليها، وليس منهجًا ينازع في إمكانية الوصول إليها، إنما محور شكه في سبل الوصول وطرق الاستدلال، وفي المعارف النظرية المتراكمة في العقل، ويجعل أكبر أهدافه تمحيصها وفرزها، ونقد كل ما كان منها مبنيًا على الوهم أو العادات أو التقليد الأعمى.

(١) انظر: أسس الفلسفة، لتوفيق الطويل، ص٣١٩، و: الشك المعرفي لسلطان العميري، ص١٩٥–٢٠٠.

المبحث الأول: الشك عند الغزالي:

المطلب الأول: دوافع الشك عند الغزالي:

كان الغزالي يعيش في عصر مضطرب، تتصارع فيه المذاهب والاتجاهات العقدية، بين اتجاهات فلسفية، كلامية، وشيعية وسنية، وباطنية وصوفية، إلى غير ذلك، مما كان له أكبر الأثر وأعظم التأثير عليه، وأكبر شاهد على أثر ذلك أن الغزالي صنف في الرد على كثير من الطوائف، وعني بباب الجدل العقدي عناية خاصة، فقد صنف في الرد على الفلاسفة كتابه المشهور "تهافت الفلاسفة"، وصنف في الرد على الباطنية كتابه المشهور ب "المستظهري" المطبوع باسم "فضائح الباطنية".

وقد كان الغزالي مولعًا بالبحث عن الحقيقة، شغوفًا بالاستزادة من المعارف، ذا نهم عظيم في تحصيل العلم، ونيل الثقافة، ولوعًا بمعرفة أسرار الطوائف، وحقائق أقوالها، وضبط الفروق فيما بينها، وأصول حججها، ليميز بذلك المحق من المبطل، والسني من البدعي، يقول في بيان ذلك:(لم أزل في عنفوان شبابي – منذ راهقت البلوغ، قبل بلوغ العشرين إلى الآن، وقد أناف السن على الخمسين – أقتحم لجة هذا البحر العميق، وأخوض غمرته خوض الجسور، لا خوض الجبان الحذور، وأتوغل في كل مظلمة، وأتهجّم على كل مشكلة، وأتقحم كل ورطة، وأتفحص عن عقيدة كل فرقة، وأستكشف أسرار مذهب كل طائفة، لأميز بين محق ومبطل، ومتسنن ومبتدع، لا أغادر باطنياً إلا وأحب أن أطلع على باطنيته، ولا ظاهرياً إلا وأريد أن أعلم حاصل ظاهريته، ولا فلسفياً إلا وأقصد الوقوف على كنه فلسفته، ولا متكلماً إلا وأجتهد في الإطلاع على غاية كلامه ومجادلته ولا صوفياً إلا وأحرص على العثور على سر صفوته، ولا متعبداً إلا وأترصد ما

يرجع إليه حاصل عبادته، ولا زنديقاً معطلاً إلا وأتحسس وراءه للتنبه لأسباب جرأته في تعطيله وزندقته.)(١).

وهذا الولع بالبحث عن الحقيقة، والشغف بالوصول إلى اليقين ذكره عن الغزالي الذين ترجموا له، فكلهم يذكر في سياق الثناء عليه ولعه بالعلم وطمعه في الاستزادة منه، وتعطشه للاستكثار والتبحر وسعة الاطلاع، حتى قال الرازي عنه:(كأن الله جمع العلوم في قبة وأطلع الغزالي عليها)(٢).

وهذه السعة في المعرفة، والشغف بالعلم والبحث عن الحقائق دفع الغزالي إلى التأمل في حال أغلب الخلق، والنظر في مدى تيقنهم من عقائدهم، وكيفية بناء الأدلة عندهم، ومدى تجردهم من الأوهام والأضاليل، فوجدهم بعد التأمل غارقين في بحر التقليد، يبنون عقائدهم على الوراثة ومتابعة الآباء، دون أن يمحصوا ما هم عليه، ويمتحنوا صدق مبادئهم، يقول في بيان ذلك:(رأيت صبيان النصارى لا يكون لهم نشوء إلا على التنصُر، وصبيان اليهود لا نشوء لهم إلا على التهود، وصبيان المسلمين لا نشوء لهم إلا على الإسلام.)(٣). فأدرك بفطرته أن التقليد هو الذي طبعهم على هذا، وليس البحث الجاد عن الحقيقة، وأن التقليد حجاب غليظ يمنع الإنسان من إدراك الحقائق ويمنعه من تمحيص معتقداته، فدفعه ذلك إلى مراجعة نفسه بحزم، والتعامل معها بصدق وصرامة، لئلا يقع فيما وقع فيه عامة الخلق، ولكي يبني معارفه على أساس من البرهان الذي يشفي العليل،

(١) المنقذ من الضلال، ص٤٥-٤٦.

(٢) الوافي بالوفيات، للصفدي، ١/١٢٠، وانظر: طبقات الشافعية، ٦/١٩٦-٢٠٢، و: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ١٩/ ٣٢٣-٣٣٣.

(٣) المنقذ من الضلال، ص٤٦.

يقول:(فتحرك باطني إلى طلب حقيقة الفطرة الأصلية، وحقيقة العقائد العارضة بتقليد الوالدين والأستاذين، والتمييز بين هذه التقليدات، وأوائلها تلقينات، وفي تمييز الحق منها عن الباطل اختلافات)(١).

فحاصل ما سبق أن الدافع الذي جعل الغزالي يتجه للشك الذي سيؤصل له فيما بعد مركب من أمرين:

١- سعة علم الغزالي، وولعه الشديد بالاستزادة من المعرفة، والاطلاع على كنه الأقوال وأصولها وحقائقها، وعدم الاكتفاء بالمعرفة السطحية والنظرات المختزلة الساذجة.

٢- ما هاله من غلبة التقليد على نفوس الخلق، وما رآه من أن أكثرهم يبنون عقائدهم على متابعة الآباء، ومراعاة البيئة التي نشؤوا فيها، لا فرق في ذلك بين من ولدوا على النصرانية أو اليهودية أو الإسلام!

(١) المنقذ من الضلال، ص٤٦.

المطلب الثاني: حقيقة الشك عند الغزالي:

ذكر الغزالي حقيقة ما عرض له من شك، وما مر به من اضطراب في كتابه المنقذ من الضلال، وقد كتب الغزالي هذا الكتاب إجابة على سؤال مسترشد طلب منه حكاية ما قاساه في استخلاص ما يراه حقًا من بين اضطراب الفرق، وكيف ارتفع من حضيض التقليد إلى يفاع الاستبصار(١).

وقد سبق بيان أن الغزالي تقرر في نفسه غلبة التقليد على نفوس الخلق، وأنهم ضحايا لاستبداد موروثاتهم وعوائدهم وما وجدوا عليه آباءهم، ثم إنه بعد أن تقرر في نفسه ذلك تطلعت نفسه إلى طلب اليقين ونيل برد الاستبصار، ثم تساءل في نفسه عن حقيقة العلم اليقيني الذي يرتاح إليه المرء ويقنع به، يقول في بيان ذلك:(إنما مطلوبي العلم بحقائق الأمور ، فلا بد من طلب حقيقة العلم ما هي ؟ فظهر لي : أن العلم اليقيني هو الذي ينكشف فيه المعلوم انكشافاً لا يبقى معه ريب ، ولا يفارقه إمكان الغلط والوهم ، ولا يتسع القلب لتقدير ذلك ، بل الأمان من الخطأ ينبغي أنا يكون مقارناً لليقين ، مقارنة لو تحدى بإظهار بطلانه – مثلاً – من يقلب الحجر ذهباً والعصا ثعباناً ، لم يورث ذلك شكاً وإنكاراً ، فإني إذا علمت : أن العشرة أكثر من الثلاثة ، فلو قال لي قائل : لا بل الثلاثة أكثر ، بدليل أني أقلب هذه العصا ثعباناً ، وقلبها ، وشاهدت ذلك منه ، لم أشك بسببه في معرفتي ، ولم يحصل لي منه إلا التعجب من كيفية قدرته عليه فأما الشك بسببه فيما علمته فلا ثم علمت أن كل ما لا أعلمه

(١) انظر: المنقذ من الضلال، ص٤٣.

على هذا الوجه ولا أتيقنه هذا النوع من اليقين ، فهو علم لا ثقة به ولا أمان معه ، وكل علم لا أمان معه فليس بعلم يقيني)(١).

وهذا الكلام الذي قاله الغزالي من اشتراط أن تكون علومه كلها من جنس العلم بأن العشرة أكثر من الثلاثة هو شرط قوي وصارم، دفعه إلى الشك في سائر علومه النظرية، لأنها مهما بلغت من اليقين فلن تصل إلى مستوى هذا الشرط الذي اشترطه، وهي مهما تقررت وتأكدت فلن ترتقي إلى منزلة العلوم البدهية الأولية، يقول في بيان أن هذا الاشتراط دفعه بعد ذلك إلى الشك في النظريات:(ثم فتشت عن علومي ، فوجدت نفسي عاطلاً من علم موصوف بهذه الصفة ، إلا في الحسيات ، والضروريات)(٢).

ولكن الغزالي لم يقف به الحال عند الشك في النظريات فحسب، فقد دفعه شغفه بطلب اليقين وتعطشه لبناء معارفه على البرهان الواضح إلى أن يقع في ورطة معرفية، وأزمة منهجية، هي الشك في الحسيات أولًا، ثم اضطرب به الحال وتمادى به الأمر حتى وقع في الشك في الضروريات، يقول في بيان ذلك:(فقلت الآن بعد حصول اليأس لا مطمع في اقتباس المشكلات إلا من الجليات وهي الحسيات والضروريات فلا بد من إحكامها أولاً لأتيقن أن ثقتي بالمحسوسات ، وأماني من الغلط في الضروريات من جنس أماني الذي كان من قبل في التقليدات ، ومن جنس أمان أكثر الخلق في النظريات ، أم هو أمان محقق لا غدر فيه ، ولا غائلة له . فأقبلت بجد بليغ ، أتأمل المحسوسات والضروريات ، وأنظر هل يمكنني

(١) المنقذ من الضلال، ص٤٧.

(٢) المنقذ من الضلال، ص٤٨.

أن أشكك نفسي فيها ؟ فانتهى بي طول التشكيك إلى أن لم تسمح نفسي بتسليم الأمان في المحسوسات أيضاً)(١).

وقد استدل الغزالي على عدم يقينية المحسوسات، وأنها لا يوثق بما تنقله من أشياء في الخارج بدليلين، هما:

١- أن احاسة البصر وهي أقوى الحواس تنظر إلى الظل فتراه واقفًا غير متحرك، ثم تكشف التجربة والملاحظ بعد ذلك بأنه متحرك، وأن تحركه لم يكن مباغتة، وإنما جاء على التدريج شيئًا فشيئًا، مما أوقع البصر في مأزق الوهم، وجعله يظن بأنه ثابت لا يتحرك مستقر لا يتزعزع!

٢- أن حاسة البصر تنظر إلى الكواكب البعيدة فتراها صغيرة جدًا بمقدار الدنانير، ثم تكشف الأدلة الهندسية أنها كبيرة جدًا، وأنها أكبر من الأرض في المقدار!

ولكن الغزالي لم يقف به الأمر عند الشك في المحسوسات، بل تمادى به الحال، وانفرط عقد اعتداله، فبدأت شكوكه تداهم الضروريات، وتقتحم سياج البدهيات، يقول في بيان ذلك:(فقالت الحواس: بم تأمن أن تكون ثقتك بالعقليات كثقتك بالمحسوسات وقد كنت واثقاً بي، فجاء حاكم العقل فكذبني، ولولا حاكم العقل لكنت تستمر على تصديقي، فلعل وراء إدراك العقل حاكماً آخر، إذا تجلى كذب العقل في حكمه، كما تجلى حاكم العقل فكذب الحس في حكمه، وعدم تجلي ذلك الإدراك لا يدل على استحالة!)(٢).

(١) المنقذ من الضلال، ص٤٨.

(٢) المنقذ من الضلال، ص٤٩.

وهكذا بدأ يقين الغزالي بالضرورات يتزعزع وشكه بها يستحكم، وقد استفحل شكه بسبب إشكال عرض له وأكد له عدم يقينية الضروريات، ولم يستطع الغزالي الإجابة عنه، وحاصله الاستدلال بما يقع للمرء في منامه فهوى يرى أمورًا كثيرة ويتخيل أحوالًا عديدة، يعتقد حال رؤيته لها بأن لها ثباتًا واستقرارًا، ولا يداخله الشك فيها، ولكنه عندما يستيقظ يدرك أن كل ما رآه لا حقيقة له، وأنه مجرد وهم من الأوهام وخيال من الخيالات!(١).

ثم ذكر الغزالي أن هذا العارض الذي عرض له دام قريبًا من شهرين، حيث يقول:(فأعضل الداء، ودام قريباً من شهرين، أنا فيهما على مذهب السفسطة بحكم الحال، لا بحكم النطق والمقال. حتى شفى الله تعالى من ذلك المرض، وعادت النفس إلى الصحة والاعتدال، ورجعت الضروريات العقلية مقبولة موثوقاً بها على أمن ويقين، ولم يكن ذلك بنظم دليل وترتيب كلام، بل بنور قذفه الله تعالى في الصدر وذلك النور هو مفتاح أكثر المعارف، فمن ظن أن الكشف موقوف على الأدلة المحررة فقد ضيق رحمة الله تعالى الواسعة.)(٢).

فيستفاد من هذا الكلام عدة أمور:

١- أن الغزالي اعتبر هذا الذي مر به مرضًا وداء شفاه الله منه.

٢- أنه كان على مذهب السفسطة بحكم الحال لا المقال.

٣- أن خلاصه من هذا المرض الذي عرض له لم يكن بسبب استنتاج مقدمات ولا نسج براهين، بل كان بنور من الله، سماه "النور الذي قذفه الله في صدري".

---

(١) انظر: المنقذ من الضلال، ص٥٠.

(٢) المنقذ من الضلال، ص٥١-٥٢.

المطلب الثالث: موقف العلماء والباحثين من شك الغزالي:

تفاوتت آراء الباحثين في النظر إلى مشكلة الشك عند الغزالي بين مادح وناقد، كما تفاوتت آراؤهم في فهم حقيقة ما جرى له على اتجاهين:

الاتجاه الأول:

وهو الذي مال إليه أكثر الباحثين من اعتبار الشك الذي عرض للغزالي هو من الشك المنهجي الاحترازي المنهجي، وليس من قبيل الشك الهدمي المطلق(١).

الاتجاه الثاني:

من رفض موقف الاتجاه الأول، واعتبر حالة الغزالي أقرب إلى الشك العدمي الهدمي، معللًا ذلك بأن الغزالي قد شك في كل شيء حتى في القضايا البدهية، وأنه قد اعتبر ما عرض له مرضًا شفاه الله منه(٢).

وقد ذكر كثير من العلماء غلبة الشك والتذبذب على الغزالي، وانتقدوه على ذلك، ومن أبرز هؤلاء الإمام ابن تيمية، حيث يقول:(كان هو وأمثاله مضطربين لا يثبتون على قول ثابت. لأن عندهم من الذكاء والطلب ما يتشوفون به إلى طريقة خاصة الخلق ولم يقدر لهم سلوك طريق خاصة هذه الأمة الذين ورثوا عن الرسول صلى الله عليه وسلم العلم والإيمان وهم أهل حقائق الإيمان والقرآن – كما قدمناه – وأهل الفهم

(١) انظر: نظرية المعرفة، لمحمود زيدان، ص١٧٦، و: المعجم الفلسفي، ص١٠٣، و: مدخل إلى نظرية المعرفة، لأحمد الكرساوي، ص٤٥، و: نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، لراجح الكردي، ١/ ١٠٥-١١٤.

(٢) انظر: الشك المعرفي ومدارسه، لسلطان العميري، ص٢٠٠، و: معجم الفلاسفة، لجورج طرابيشي، ص٤٢٩.

لكتاب الله والعلم والفهم لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتباع هذا العلم بالأحوال والأعمال المناسبة لذلك كما جاءت به الرسالة.)(١).

وذكر عنه أنه متذبذب إذا صنف على طريقة طائفة من الطوائف غلب عليه مذهبها!(٢).

وعند تأمل كلام الغزالي الذي حكاه في كتابه " المنقذ من الضلال"، يتبين بجلاء أن كلا الاتجاهين في تفسير ما حصل له قد جانبهما الدقة والتفصيل، فإن القول بأن الغزالي كان على الشك المنهجي الاحترازي بإطلاق غير دقيق، كما أنه كان على الشك الهدمي بإطلاق غير دقيق أيضًا!

بل الوصف الأدق والتفسير المتسق مع ما حكاه بأن يقال بأنه كان ابتداء يريد فحص معارفه وامتحان آرائه وعقائده فقط، وهذا هو الشك المنهجي الاحترازي، ولو أن الغزالي وقف عند هذا الحد لكان هذا التفسير صحيحًا، ولكنه لم يقف عند هذا الحد كما هو معلوم، فلقد أسرف في الشك وبالغ في التردد حتى خرج به الحال عن الاعتدال، إلى أن وقع في الشك في الحواس أولًا، ثم الشك في البدهيات والأوليات العقلية، وهي التي لا يقوم اليقين إلا عليها ولا تتأسس العلوم إلا بالتسليم بها، وهذا هو الشك العدمي الهدمي.

ثم إن القول بأن الغزالي كان على الشك المنهجي الاحترازي بإطلاق يقتضي اعتبار ذلك مزية يحمد عليها، وهذا غير دقيق، لأن الغزالي نفسه

(١) مجموع الفتاوى، ٤/ ٦٥-٦٦.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، ٤/ ٥٥، و:٢/ ٥٤-٥٥.

اعتبر ما حصل له مرضًا شفاه الله منه، وورطة خلصه الله منها، فكيف بعد ذلك يجعل ما مر به من الشك الاحترازي المقبول ؟!

أما القول بأن الغزالي كان على الشك العدمي الهدمي فهذا أيضًا غير دقيق، لأن الغزالي لم يقصد إليه ابتداء، ولم يكن يعتبره غاية يريد الوصول إليها والتأصيل لها، بل اضطر إليه اضطرارًا، ووقع فيه دون قصد ولا رغبة وتطلع، واعتبره مرضًا شفاه الله منه، فكيف ينسب الغزالي إلى تبني أمر يعتبر الخلاص منه نعمة من نعم الله عليه؟!

ومما يؤكد هذا ويزيده جلاءً أن الغزالي في كتبه الأخرى يرد على الذين يطعنون في البدهيات، وينكر مذاهب السفسطة، وينكر على أهلها بوضوح وجلاء(١)، ويقرر الأوليات وأنها حاصلة للإنسان منذ ولادته الأولى وليست بحاجة إلى نظر واستدلال(٢)، ويذم السفسطة وألوانها(٣).

(١) انظر: معيار العلم، ص٢٤١-٢٤٢.
(٢) انظر: محك النظر، ص١١٦-١٢٢.
(٣) انظر: محك النظر، ص١٢٤.

المبحث الثاني: تقييم الشك عند الغزالي:

المطلب الأول: المحاسن في تجربة الغزالي:

إن مما يحمد للإمام الغزالي ولعه بالمعرفة وتعطشه للاستزادة من العلم، ورغبته الشديدة في تحقيق اليقين المعرفي والوضوح الحجاجي، فإن هذا من دلائل كمال النفس البشرية، التي لا تقنع بالدون ولا ترضى بالجهل، وتتطلع دائمًا لسبر أغوار العلوم، وكشف آفاق المعارف، والبحث في حقائق الوجود وعلل الأشياء وأوائلها...إلخ.

وهذا كله داخل تحت فضيلة طلب العلم، وما جاء في الثناء على التماسه وتحصيله، والثناء على أهله وأصحابه، وهذا ظاهر بين لا يحتاج إلى مزيد شرح.

وإن مما يحمد للغزالي أيضًا نبذه لطريق التقليد ونهيه عنه، ونعيه على أهله، واعتباره طريقًا فاسدًا ومسلكًا مضللًا، في مثل قوله:(فجانب الالتفات إلى المذاهب، واطلب الحق بطريق النظر، لتكون صاحب مذهب، ولا تكن في صورة أعمى تقلّد قائداً يرشدك إلى طريق وحواليك ألف مثل قائدك ينادون عليك، بأنه أهلكك وأضلك عن سواء السبيل. وستعلم في عاقبة أمرك ظلم قائدك، فلا خلاص إلا في الاستقلال.)(١).

فهذا الحث على التجرد في طلب الحق، ونبذ طرق التقليد والمتابعة العمياء التي لا تلتفت لضلال الداعي من هداه، ولا تنظر في حججه وبراهينه، هو من الشك الذي يدفع الإنسان إلى النظر الفاحص والتجرد الحازم، والذي يدفعه لعدم الاغترار بقول الآباء والمعظمين من البشر إذا لم تكن على هدى وصواب، أو الالتفات إلى ما نشأوا عليه دون تمحيص

(١) ميزان العمل، ص٣٠٨-٣٠٩، وانظر: فيصل التفرقة، له، ص٣٥-٣٨.

وتدقيق في مدى موافقة ذلك لهدي النبي –صلى الله عليه وسلم–، هذا كله من الشك الذي يحمد للإنسان ولا يذم عليه، وقد كثرت أقوال الأئمة في بيان خطر التقليد المذموم، وبيان أن التعصب هو من أعظم الموانع التي تمنع البشر من اتباع الحق والانقياد إلى الدليل، وتحول بينه وبين إدرك الحقائق والانتفاع بها، وأن ضلال عامة الخلق إنما كان بسبب التعصب وعدم التجرد والصدق في البحث عن الحق، وتقديمه على قول كل أحد مهما علا قدره وارتفعت منزلته، وأن على المرء أن يحذر أشد الحذر من مسالك الهوى وبواعث الزيغ عن الحق(١).

وقد أحسن الغزالي في قوة تجرده في طلب الحق، وحزمه الشديد في رفض بناء معتقداته على التقليد الأعمى، وتأسيس معارفه على مجرد العادات التي ما أنزل الله بها من سلطان، وليس في شيء مما سبق ما يذم به الغزالي أو ينتقد عليه، إنما يضيق بذلك من تمكن التعصب من قلبه وكان التجرد في طلب الحق عسيرًا عليه، فينفر بسبب ذلك من كل من يأمر بنقيض فعله وينهى عن سلوك مسلكه.

(١) انظر: أدب الطلب، للشوكاني، ص٤١–١٥٧، و: هداية الحيارى، لابن القيم، ص٣٩–٤١، و: آداب الدين والدنيا، للماوردي، ص١٤٨.

المطلب الثاني: أوجه الزلل في تجربة الغزالي:

سبق بيان أن الغزالي أحسن في تجرده في طلب الحق، ونبذه لطرق التعصب والتقليد الأعمى، وتقريره لضرورة الشك في المعارف التي بنيت على ذلك، وأن هذا من الشك المنهجي الذي لا إشكال فيه، بل هو شك محمود وهو من البحث عن الحق، والصدق في طلبه..

ولكن الإشكال الكبير والمأزق الخطير الذي وقع فيه الغزالي هو مبالغته في تمحيص معتقداته، وإسرافه في الشك في معارفه، وإفراطه في طلب حقائق الأشياء وعلل الوجود حتى زلت به القدم وخرج عن حد الاعتدال وحاد عن السبيل، فقاده ذلك إلى التورط في الشك في المحسوسات أولًا، ثم تمادى به الشك وألحَّ عليه حتى وقع في السفسطة وشك في الأوليات العقلية التي لا يمكن بناء المعرفة إلا عليها، ولا يقين يمكن أن يطلب إلا من خلالها وواسطتها، وهذا خلل منهجي كبير كان أولى بالغزالي أن ينتبه إليه وألا يتورط فيه، لأنه حاصل مذهب السفسطة وجوهر قولهم ومقتضى مذهبهم، والغزالي نفسه ينكر هذا المذهب أشد الإنكار في كتبه الأخرى(١).

والمعارف الفطرية الأولية ترفض بطبيعتها الاستدلال من حيث الأصل، لأنها هي الأساس الذي يقوم عليه الاستدلال والركن الذي تقوم عليه المعارف، والمعارف النظرية مهما كثرت لا يمكن أن تستند في الاستدلال عليها إلى مقدمات نظرية إلى غير نهاية، بل لا بد ضرورة من أن ينتهي الاستدلال إلى مقدمات يقينية ومعارف أولية بدهية وإلا لزم من ذلك التسلسل الممتنع إلى غير نهاية، فإن كل مقدمة نظرية ليست معلومة

(١) انظر: محك النظر، ص١٢٤، و: معيار العلم، ٢/ ٢٤٢.

الصدق لذاتها، وإلا لما كانت نظرية، ولما لم تكن معلومة الصدق لذاتها لزم أن تستند في صحتها إلى مقدمات تكون معلومة الصدق لذاتها، ولا يتحقق ذلك إلا في المعارف الفطرية البدهية، التي يقوم عليها الاستدلال وتتأسس عليها المعارف، وهي مقدمات لا تحتاج إلى نظر واستدلال، وحاصلة للإنسان منذ وجوده، يقول ابن تيمية:(البرهان الذي ينال بالنظر فيه العلم لا بد أن ينتهي إلى مقدمات ضرورية فطرية فإن كل علم ليس بضروري لا بد أن ينتهي إلى علم ضروري، إذ المقدمات النظرية لو أثبتت بمقدمات نظرية دائما لزم الدور القبلي، أو التسلسل في المؤثرات في محل له ابتداء.

وكلاهما باطل بالضرورة واتفاق العقلاء...، فإن العلم النظري الكسبي هو ما يحصل بالنظر في مقدمات معلومة بدون النظر إذ لو كانت تلك المقدمات أيضا نظرية لتوقف على غيرها، فيلزم تسلسل العلوم النظرية في الإنسان، والإنسان حادث كائن بعد أن لم يكن، والعلم الحاصل في قلبه حادث، فلو لم يحصل في قلبه علم إلا بعد علم قبله، للزم أن لا يحصل في قلبه علم ابتداء فلا بد من علوم بديهية أوليه يبتدؤها الله في قلبه وغاية البرهان أن ينتهي إليها.)(١).

ولكن هذا المعارف الفطرية البدهية ليست ممتنعة الاستدلال أبدًا، فهي قد تقبل الاستدلال لا من حيث الاستدلال على إثباتها، لأن الاستدلال على إثباتها يجعلها تخفى ويشكك المرء فيها، لصعوبة الاستدلال على البدهيات، وهذا ما وقع فيه الغزالي، حيث قلب الأمر وعكس طرق الاستدلال، فأراد أن يستدل على الضروريات الواضحة التي هي مبتدأ

(١) درء تعارض العقل والنقل، ٣/ ٣٠٩، وانظر: الفصل، لابن حزم، ٥/ ١٠٩.

الاستدلال، وليست غايته، فأوقعه ذلك في الحيرة والاضطراب، وغلب الشك عليه، وكاد أن يستمر على هذه السفسطة لولا أن الله سلمه منها وخلصه من هذا الداء.

والمعارف الفطرية قد تقبل الاستدلال من جهة واحدة فقط، هي جهة الكشف عن ضرورتها وأنها بدهية يقينية، لا يمكن تصور نقيضها، ولا تمكن معارضتها بشيء من الاعتراضات النظرية، وأنه مهما حاول المرء أن يفرض لها تصورات تعارضها فإن عقله البشري الذي فطره الله عليه لن يقبل ذلك، فمثلًا القول بأن العشرة أكثر من الثلاثة وأن الشيء الواحد لا يمكن أن يكون موجودًا معدومًا في آن واحد، من العلوم البدهية التي لا يمكن التشكيك فيها ولا تصور نقيضها مهما بلغ المرء من الذكاء ودقة الاستدلال، وهي مما اتفق عليه العقلاء وأجمعت عليه الناس.

أما ما توهمه الغزالي في مرحلة شكه من حجج تشكك في الحسيات والضرورات فهي مغالطات باطلة، لا حظ لها من البرهان، وبيان ذلك كما يأتي:

-أما تشكيكه في المحسوسات بدعوى أن حاسة البصر قد تخطئ فترى الظل واقفًا ثم يتبين لها أنه متحرك شيئًا فشيئًا، وأنها ترى الكوكب بعيدًا بحجم الدينار فتحسبه صغيرًا وهو في الحقيقة أكبر من الأرض، فالجواب عنه أن هذا التغير الحاصل ليس من خطأ الحس في نقل الواقع، بل لأن الواقع نفسه عرضة للتغيير، وحاسة البصر إنما هي ناقلة للواقع كما هو في الخارج، سواء أكان باقيًا على حاله أم عرضة للتغير، وما ذكره الغزالي هو من هذا النوع، فإن عدم رؤية العين لحركة الظل شيئًا فشيئًا

يرجع إلى كون حركة الظل بطيئة جدًا، وهذا ما لا يمكن إدراكه بنظرة عجلى ولمحة سريعة.

وما ذكره عن رؤية الكواكب البعيدة وأنهاصغيرة الحجم بمقدار الدينار، لا يرجع إلى خطأ العين في نقل ذلك، بل لأن الكواكب بعيدة جدًا، بحيث لا يمكن للعين أن تنقلها كما هي مع شدة البعد وطول المسافة، والغزالي قد اعتمد في بيان ذلك على حاسة البصر وحدها، والصواب أن يعطي سائر الحواس حقها في الحكم فإن العلاقة بينها تكاملية، فقد يخطئ واحد منها ويصحح له الحكم حاسة أخرى،وهكذا، كما استدل بعض السوفسطائية بنظير حجة الغزالي في الظل بأن العصا داخل الماء تظهرها العين مكسورة ومائلة، بينما هي لا تزال على استقامتها، فيقال: لو أنكم أعطيتم حاسة اليد حقها مع حاسة العين لظهر لكم وجه الخطأ، وبان فساد تشكيككم، وعلمتم أن الانكسار الحاصل ليس لخطأ العين بل لتغير الواقع في الخارج.

-وأما ما ذكره الغزالي من تشكيك حول الضرورات العقلية استنادًا لما يراه في النائم في منامه من أمور ووقائع يظنها حقيقة ثابتة، ثم يتبين له بعد ذلك أنها مجرد أحلام لا حقيقة لها، فيجاب عنه بأن هذا مبني على عدم التفريق بين حال النوم وحال اليقظة، والتفريق بينهما ظاهر لكل أحد، وسحب أحكام حال النوم إلى حال اليقظة لا يقبله أحد من العقلاء، وليس من طرق الاستدلال المعتبرة، ولا عبرة به عند أحد، فإن للنوم أحوالًا تخصه، كما أن لليقظة أحوالًا تخصها.

وبعد بيان ما يتعلق بالشك عند الغزالي وما له وما عليه، بقي أن يشار إلى مناقشة الحل الذي ذكر أنه خرج به من ورطته، فقد ذكر أمرين:

١- أن ما حصل له كان مرَضًا شفاه الله منه، وقد أحسن في وصف ما عرض له بأنه مرض، وهذا يؤكد ما سبق بيانه

من أن الغزالي لم يكن يتبنى الشك العدمي الهدمي بإطلاق، ولا الشك المنهجي الاحترازي بإطلاق.

٢- أنه نجا من ذلك لا بنظر في الأدلة ولا بنظم للبراهين، وإنما بنور قذفه الله في قلبه.

وما ذكره الغزالي في الأمر الثاني، متعقب بعدة أمور، هي:

١- أن تعبيره بمصطلح "الكشف" تعبير مجمل، يحتمل ثلاثة أمور:

أ- أنه أراد الكشف بمصطلح الصوفية.

ب- أنه أراد الإلهام الصادق الذي يكون من ملائكة الله.

ت- أنه أراد محض التوفيق والهداية من الله.

فإن كان أراد الأول فهو مما ينتقد عليه، وإن كان أراد الثاني فسيأتي التفصيل فيه، وإن كان أراد الثالث فلا إشكال في ذلك، ويكون عبر بلفظ مقارب، لا ينبغي التشديد فيه لمجرد اشتراكه مع المصطلح الصوفي، دون معرفة مراده الدقيق، وهو محتمل كما سبق.

٢- إن كان الغزالي أراد بتعبيره "الإلهام الصادق" فإنه طريق صحيح في الجملة ولا إشكال فيه، لكن الإشكال يكمن في أن الإلهام الصادق ليس من طرق الترجيح في هذه المسائل، فإنه لا بد من بيان سبب الترجيح بعبارة واضحة لا الإحالة إلى أمر مجهول لا يمكن تبينه ولا التحقق منه، كما يمكن لمنازعه أن يشكك فيه وأن يعترض عليه بنقيض دعواه، كأن يقول المعترض بأنه يطعن في البدهيات الضرورية بنور قذه الله في صدره تبين به ضلالها وعدم يقينيتها وأنه لا يمكن له التعبير

عن هذا النور بعبارة واضحة لأنه لم يأت من طريق نظم أدلة ولا ترتيب حجج!

فعلم من هذا وجه الإشكال الذي يلحق طريقة الغزالي، ومما يلفت النظر أن الغزالي نفسه أنكر في كتابه " المنخول" تعريف الاستحسان بأنه المعنى الخفي الذي تضيق العبارة عنه، حيث قال:(وهذا هوس فإن معاني الشارع إذا لاحت في العقول انطلقت الألسن بالتعبير عنها فما لا عبارة عنه لا يعقل)< المنخول، ص٣٧٥.>، فإذا كان ما لا عبارة عنه لا يعقل فإن إحالة الغزالي في هذا الموضع على الإلهام أو الكشف الذي لا يمكن التعبير عنه مما ينتقد عليه.

٣- أن الغزالي لم يذكر الطريق الواضحة والسبل الصحيحة القاطعة في الكشف عن ضرورة المبادئ العقلية الأولية، وهو ما سبقت الإشارة إليه من أنها واضحة في نفسها لا تحتاج إلى استدلال، وأنها لا يمكن تصور نقيضها بحال من الأحوال، ولا يمكن دفعها عن الإنسان بالشكوك النظرية، لأنها ثابتة في الفطر مركوزة في العقول وحاصلة للإنسان منذ ولادته.

الخاتمة:

في ختام هذا البحث أحمد الله ما تفضل به ويسر وأعان، وهذه أهم النتائج التي توصلت إليها:

١- أن نظرية المعرفة وإن كانت من أركان الفلسفة الحديثة إلا أنها ليست مما اختص به علماء الغرب، فقد بحثها علماء الإسلام في كتب العقائد وعلم الكلام والفلسفة والمنطق.

٢- أن الإمام الغزالي من أبرز من عني بنظرية المعرفة من علماء الإسلام، وقد عني عناية خاصة بمسألة إمكان المعرفة وكان له فيها تجربة خاصة حكاها بنفسه وكانت مثارًا للنقاش من بعده.

٣- اختلف الباحثون في حقيقة ما جرى للغزالي من تجربة، فبعضهم نسبه إلى تبني الشك المنهجي الاحترازي، وبعضهم نسبه إلى تبني الشك الهدمي.

٤- أن الصواب عدم إطلاق أنه مال إلى أحد نوعي الشك، بل الأدق بأن يقال إنه تبنى الشك المنهجي في البداية، ولكنه غلا في ذلك وأسرف حتى وقع في الشك الهدمي دون قصد ولا إرادة، ثم نجاه الله من ذلك بما سماه " الكشف".

٥- أن مصطلح " الكشف" الذي أسند إليه الغزالي سبب خروجه من ورطته مصطلح مجمل يحتمل عدة معان منها ما هو مقبول ومنها ما هو متردد فيه ومنها ما هو مرفوض ومنتقد.

٦- أن المبادئ الفطرية لا يمكن إقامة البراهين النظرية عليها، بل هي لا تقبل الاستدلال من حيث الأصل، وإنما تقبل

الاستدلال من جهة الكشف عن مستند ضرورتها وأنها لا يمكن تصور نقيضها بحال من الأحوال.

٧- أن مشكلة الإمام الغزالي أنه أراد الاستدلال على المبادئ الفطرية من طريق النظر، وهذا ما أوجب له الشك فيها والحيرة في شأنها، ثم الميل إلى معارضتها بمغالطات لا ترتقي لأن تكون حججًا تدفع ما هو مركوز في الفطر والعقول.

فهرس المراجع

١- الأربعون في أصول الدين، للإمام أبي حامد الغزالي، دار المنهاج، جدة، ط٢، ٢٠١٩م.
٢- أسس الفلسفة للدكتور توفيق الطويل، دار النهضة العربية، القاهرة، ط٤، ١٩٦٤م.
٣- تهافت الفلاسفة، أبو حامد الغزالي، تحقيق: سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، ٢٠١٧م.
٤- درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام ابن تيميّة ، تحقيق: محمد رشاد سالم، ط دار الفضيلة، الرياض، ط الاولى ١٤٢٩هـ.
٥- دروس في الفلسفة، ليوسف كرم وإبراهيم مندور، دار عالم الأدب، بيروت، ط ١، ٢٠١٦م.
٦- سير أعلام النبلاء، لشمس الدّين الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٠٩ ç.
٧- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لأبي محمد بن حزم تحقيق: محمد إبراهيم وعبد الرحمن عميرة، دار الجيل.
٨- فضائح الباطنية، أبو حامد الغزالي، تحقيق: د. عبد الرحمن بدوي، الدار القومية، القاهرة، ١٣٨٢هـ.
٩- القسطاس المستقيم، للإمام الغزالي، دار كيرانيس،٢٠١٤م.
١٠- قصة الفلسفة اليونانية، لأحمد أمين وزكي نجيب محمود، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٣٥م.
١١- مبادئ الفلسفة، لرابوبرت، تعريب: أحمدا أمين، دار العالم العربي،القاهرة، ط ١، ٢٠١٢م.

١٢- مجلة التأصيل للدراسات الفكرية المعاصرة، العدد الثامن، السنة الرابعة، ٢٠١٤م.
١٣- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيميّة ، تحقيق: عبد الرحمن بن قاسم، مجمع الملك فهد، ١٤٢٥ ç.
١٤- محك النظر، للإمام أبي حامد الغزالي، دار المنهاج، جدة، ط١، ٢٠١٦م.
١٥- المدخل إلى الفلسفة، لأزفلد كولبه، ترجمة: د.أبو العلاء عفيفي، دار عالم الأدب، بيروت، ط١، ٢٠١٦م.
١٦- مدخل إلى نظرية المعرفة، لأحمد الكرساوي، مركز تكوين للدراسات والبحوث، ط١، ٢٠١٩م.
١٧- المستصفى من علم الأصول، لأبي حامد الغزالي، للدكتور محمد الأشقر، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى، ١٤١٧هـ.
١٨- المضنون به على غير أهله، للإمام أبي حامد الغزالي، دار كيرانيس، ٢٠١٤م.
١٩- المنقذ من الضلال والمفصح بالأحوال، للإمام أبي حامد الغزالي، دار المنهاج، جدة، ط١، ٢٠١٣م.
٢٠- موسوعة الفلسفة، للدكتور عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٤.
٢١- ميزان العمل، للإمام أبي حامد الغزالي، دار المنهاج، جدة، ط١، ٢٠١٨م.
٢٢- نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة، للدكتور راجح عبد الحميد الكردي، دار الفاروق، عمان، الأردن، ط٣، ٢٠١١م.

References :

1- al'arbaewun fi 'usul aldiyni, lil'iimam 'abi hamid alghazalii, dar alminhaji, jidat, ta2, 2019m.
2- 'usus alfalsafat lilduktur tawfiq altawili, dar alnahdat alearabiati, alqahiratu, ta4, 1964m.
3- tahafut alfalasifati, 'abu hamid alghazaliu, tahqiqu: sulayman dinya, dar almaearifi, masr, 2017m.
4- dar' taearid aleaql walnaqlu, lishaykh al'iislam abn tymyt , tahqiqu: muhamad rashad salim, t dar alfadilati, alrayad, t alawlaa 1429h.
5- drus fi alfalsafati, liusuf karam wa'iibrahim mandur, dar ealam al'adbi, bayrut, t 1, 2016m.
6- sir 'aelam alnubala'i, lishams alddyn aldhahbi, muasasat alrisalati, ta1, 1409 c.
7- alfasl fi almalal wal'ahwa' walnahlu, li'abi muhamad bin hazm tahqiqa: muhamad 'iibrahim waeabd alrahman eumayrata, dar aljil.
8- fadayih albatiniati, 'abu hamid alghazaliu, tahqiqu: da. eabd alrahman badwi, aldaar alqawmiati, alqahirati, 1382h.
9- alqistas almustaqima, lil'iimam alghazalii, dar kiranis,2014m.

10- qisat alfalsafat alyunaniati, li'ahmad 'amin wazaki najib mahmud, dar alkutub almisriati, alqahirati, ta2, 1935m.

11- mabadi alfalsafati, lirabubirta, taeriba: 'ahmadu\ 'amin, dar alealam alearbi,alqahirati, t 1, 2012m.

12- majalat altaasil lildirasat alfikriat almueasirati, aleadad althaaminu, alsanat alraabieati, 2014ma.

13- majmue fatawaa shaykh al'iislam abn tymyt , tahqiqu: eabd alrahman bn qasima, majmae almalik fihd, 1425 c.

14- mahika alnazar, lil'iimam 'abi hamid alghazaliu, dar alminhaji, jidat, ta1, 2016ma.

15- almadkhal 'iilaa alfalsafati, li'azfilad kulbah, tarjamatu: di.'abu aleala' eafifi, dar ealam al'adbi, bayrut, ta1, 2016m.

16- madkhal 'iilaa nazariat almaerifati, li'ahmad alkarsawii, markaz takwin lildirasat walbuhuthi, ta1, 2019m.

17- almustasfaa min eilm al'usuli, li'abi hamid alghazalii, lilduktur muhamad al'ashqara, muasasat alrisalati, bayrut, t al'uwlaa, 1417h.

18- almadnun bih ealaa ghayr 'ahlihi, lil'iimam 'abi hamid alghazalii, dar kiranis, 2014m.

19- almunqidh min aldalal walmufsah bial'ahwali, lil'iimam 'abi hamid alghazaliu, dar alminhaji, jidat, ta1, 2013ma.

20- musueat alfalsafati, lilduktur eabd alrahman badwi, almuasasat alearabiat lildirasat walnushri, bayrut, ta1, 1984.

21- mizan aleamal, lil'iimam 'abi hamid alghazaliu, dar alminhaji, jidat, ta1, 2018m.

22- nazariat almaerifat bayn alquran walfalsafati, lilduktur rajih eabd alhamid alkurdi, dar alfaruq, eaman, al'urduni, ta3, 2011m.